Le Caire 18-11-1950

Izme : année No 906

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٧٠ — ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

الأزهر فى طوره الجديد

— ٢ —

نعم كان الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم هو المصلح الذى يرجوه الأزهر وينتظره، لأن الله جمع فيه من المواهب والمكاسب مالابد منه لكل مصلح. فهو أزهرى مكتمل الأزهرية فى دينه وخلقه وعلمه؛ وهو سلفى معتدل السلفية فى عقيدته وطريقته وفهمه؛ وهو بقدمى متئد التقدمية فى اجتهاده وإصلاحه وحكمه. فاذا أخذوا على الشيخ محمد عبده أنه أنكر القديم، وسبق الزمن، واستكره التطور، وتجاهل الوثائق، واحتقر الخصوم، وتحدى الحاكم؛ وأخذوا على الشيخ مصطفى المراغى أنه وصل الأزهر بأسباب السياسة فجمع كما تجمع، وفرق كما تفرق، وصانع كما تصانع، ورأى غاية الإصلاح أن يسترضى الغضبان بالوعود، ويستمهل العجلان بالمنى، فلن يأخذوا على الشيخ عبد المجيد إلا أنه رجل جمل همه للأزهر ووكده للعلم وجهده للدين. ومن استولت على قلبه هذه الأمور امتنع عليه فى سبيلها أن يدارى فى حق أو يهاوى فى باطل.

وشيخ الأزهر الجديد خاتم طبقة من العلماء المحققين المتقين كانت لهم فى النفوس جلالة، وفى القلوب مهابة، لأنهم حفظوا كرامة العلم فحفظ الناس كرامتهم، وأعلوا مكانة الدين فأعلى الله مكانتهم. شهر أيام الطلب بالملكة النادرة فى فقه الشريعة، يتعمق أصولها، ويتقصى فروعها، ويستبطن دخائلها، بالذهن البارع والفهم الدقيق، فكان مرجع رفاقه فى تفسير ما أعضل من المسائل، وتوضيح ما أشكل من التراكيب، وتوجيه ما تعارض من الآراء، يجد فى ذلك متعة نفسه ورياضة عقله ومتابعة هواه. وظل شغفه بالبحث وكلفه بالاستقصاء آثر اللذات عنده، وأظهر النزعات فيه، حتى تولى منصب الافتاء للديار المصرية فصرف هذه القدرة العجيبة إلى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المتعددة ومظانها المختلفة لكل ما جد من شؤون الحياة وعرض من أحوال الناس، فلم توجه إليه مسألة من مسائل الدين، ولا مشكلة من مشكلات العيش، إلا كان له فيها قول مبين أو رأى منير، حتى أربت فتاويه وحده على فتاوى المفتين جميعا. فلما بلغ سن المعاش نقل مكتب الدرس والبحث والفتوى إلى داره. فكان له كل يوم مجلس حافل يندو إليه علماء الفقه فيدور عليهم بلفائف التبغ وأكواب الشاى، ثم يقدم إليهم كتابا من الكتب، أو مسألة من المسائل، فيقرأون أو يناقشون، والشيخ من ورائهم محيط بسر الكتاب، أو عليم بوجه المسألة، يقول فيستمع قوله، ويرى فيتبع رأيه. فهو حجة الوقت فى علم الفقه وأصوله ما فى ذلك خلاف.

ذلك علمه؛ أما خلقه فشذوذ فى أخلاق العصر، ولعله كذلك شذوذ فى أخلاق الدهر! فان سلوك الطريق الذى نهجه الله، والوقوف

عند الحدود التي أقامها الشرع ، أمران لم يؤتهما الله إلا صفوة من عباده المخلصين جعلهم في خلال القرون أعلاما في مجاهل الأرض، ونجوما في غياهب السماء . حدثني أقرب الناس إليه أن شركة الترام بالقاهرة أهدت إليه وهو يتولى الافتاء تصريحين مجانيين أحدهما لنفسه والآخر لتابعه . فأما تصريحه فالأمر فيه واضح ، أغلق عليه الدرج لأنه يركب السيارة ولا يركب الترام ، وانتفاع غيره به وهو مقيد باسمه حرام . وأما تصريح التابع فالأمر فيه مشكل ! مَن التابع الذي يجوز له أن ينتفع بهذا التصريح ؟ أهو الكاتب أم الساعي أم الخادم ؟ الكاتب لا ينتقل من دار الافتاء إلا إلى داره . وانتقال الموظف من عمله إلى سكنه ومن سكنه إلى عمله ، انتقال خاص لا يدخل في حساب المصلحة العامة . والساعي والخادم لم يخطرا على بال الشركة طبعا حين أعطت التصريح في الدرجة الأولى ؛ لأنهما بحكم العادة من ركاب الدرجة الثانية . إذن ليبق التصريح مصونا في المكتب لا تقع عليه عين ، ولا تمتد إليه يد ، حتى يأتي التابع الذي يستحقه .

وفي أحد الأيام أمر خادمه أن يشتري له بعض الأشياء من السوق ، فلما عاد الخادم بما اشترى، وقدم إليه الحساب بما أنفق ، قال له: لم لم تحسب أجرة الترام ؟ فأجابه الخادم الأمين : ركبت بالتصريح . فقال له الشيخ وقد فار دمه من الغضب : وكيف تستحل هذا والأشياء لي والتصريح ليس لك؟ ولم ينتظر الشيخ جواب الخادم وإنما نهض فركب سيارته حتى نزل في شارع محمد علي؛ ثم وقف في محطة من محطات الترام وانتظر حتى جاء أحد القطر فاشترى من (الكمسري) تذكرتين من تذاكر الدرجة الأولى ثم مزقهما وانصرف ! وتستطيع أنت أن تعرف بالحدس ماذا فهم الكمسري وماذا قال الركاب !!

أليس هنا الخان شذوذا في بلد لا نصيحك فيه الصحف ولا تمسّيك إلا بخبر عن اختلاس ضخم ، أو تزوير فاحش، أو سرقة فظيعة ، أو رشوة فاضحة ، أو خيانة عظمى؟

ألم يكن موقفه المعروف من تعيين صديقه الحميم المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر غريبا في مألوف هذا العصر الذي أبطل الحق بالمجاملة ، وعطل القانون بالمحاباة؟ لقد كان الحق أعز عليه من الصداقة ، والقانون أقوى لديه من الحكومة. وفي سبيل الحق والقانون تعرض الشيخ لما يتعرض له الأحرار الأبرار من طغيان الهوى وسلطان القوة .

مثل هذا الرجل ، بهذا الدين ، وفي هذا الخلق ، وعلى هذا العلم ، جدير بأن تناط به الآمال في انهاض الإسلام وإصلاح الأزهر ؛ لأنه بفضل دينه لا يؤتى من قبل نفسه ، وبفضل علمه لا يؤتى من قبل قومه ، وبفضل خلقه لا يؤتى من قبل سلطانه .

* * *

تحدث الأستاذ الأكبر عن منهاجه الاصلاحي في مؤتمر صحفي عقده بدار المشيخة قال : « إن مهمة الأزهر ذات شقين : أحدهما — تعليم أبناء المسلمين دينهم ولغة كتابهم تعليما قويا مثمرا يجعلهم حملة للشريعة، وأئمة في الدين والفقه، وحماظاً حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح . أما الآخر فهو القيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته وإقامة حجته ونشر دينه ؛ وأنه على رعاية هذين الشقين يجب أن تقوم خطة الاصلاح في الأزهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه »

أما السبيل إلى اصلاح خطة التعليم « فمبدأها أن يكون العلم هو الغاية ، والتزود من المعرفة هو الشعار . والعلم الذي أقصده هو الذي يطبع صاحبه بطابع الفضيلة والخلق الكريم ، وتظهر آثاره في الأشخاص وأعمالهم ، قبل أن تظهر في كتابتهم وأقوالهم . والوسيلة إلى ذلك هي العناية بالكتاب فستؤلف لجان من جماعة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد ، والمختصين في شؤون التعليم ، لمراجعة الكتب الدراسية واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيها حسنا الى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره » وأما السبيل إلى تبليغ الدعوة فوجهته ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية وكتابة أبحاث في الفقه تساير الروح العلمي الحاضر ، وتبرز ما في الشرع الاسلامي من مبادىء العدل والرحمة ؛ ووضع مؤلفات في اللغات الأجنبية تكشف عن حقيقة الاسلام وتعرّف بمزاياه؛ ثم العناية بالبعوث الاسلامية لتفقه الناس في الدين ، وتوثق العلائق بين المسلمين ... »

تلك هي المقاصد العامة لخطة الاصلاح نذكرها اليوم مجملة ، لنعود إلى درسها وتحليلها غدا مفصلة

حسن الزيات